

(اللوحة الأولى)

(قالها في صباه)

ضيفُ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرِ مُخْتِثِمٍ
 أَبَعْدُ بَعْدَتْ بِيَاضًا لَا بِيَاضَ لَهُ
 بَحْبٌ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبُ تَغْذِيَّتِي
 فَمَا أَمْرٌ بِرِسْمٍ لَا أَسْأَلُهُ
 تَنْقَسَتْ عَن وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ
 قَبْلَتُهَا وَدُمُوعِي مَزَجَ أَدْمُعُهَا
 فَذَقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِّنْ مُّقْبَلِهَا
 تَرْنُو إِلَيَّ بَعِينَ الطَّبْسِي مُجْهَشَةً
 رُوَيْدَ حُكْمِكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصَفَّةٍ
 أَبَدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أَبَدَيْتِ مِنْ جَزَعٍ
 إِذَا لَبَّزَكَ ثُوبَ الْحَسَنِ أَصْغَرَهُ
 لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبِي
 وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرَكُنِي
 لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتُ عَلَى جِدَّتِي
 أَرَى أَنَسَاءً وَمَحْضُولِي عَلَى غَنَمٍ
 وَرَبِّ مَالٍ قَقِيرًا مِنْ مُرُوتِهِ
 سِيضَحَبُ النَّصْلِ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ
 لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبِرٍ
 لِأَتْرَكَنَّ وَجْوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً
 وَالطُّعْنَ يُحْرِقُهَا وَالزُّجْرَ يُقْلِقُهَا
 قَدْ كَلَّمْتَهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحَةِ
 بِكُلِّ مُنْصَلَتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي
 شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً

وَالسِّيفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمَمِ
 لِأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ
 هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بِالْبَغِ الْحُلْمِ
 وَلَا بِيذَاتِ خِمَارٍ لَا تُرِيْقُ دَمِي
 يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِ
 وَقَبْلَتِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِقَمِ
 لَوْ صَابَ تُرْبًا لِأَحْيَا سَالِفِ الْأَمِّ
 وَتَمَسَّحُ الطَّلُّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَمِّ
 بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمِ
 وَلَمْ تُجَنِّي الَّذِي أَجَنَنْتِ مِنْ أَلَمِ
 فَصَرْتِ مِثْلِي فِي ثَوْبِينَ مِنْ سَقَمِ
 وَلَا الْقِنَاعَةَ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شِيْمِي
 حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرُقَهَا هِمَمِي
 بِرَقَّةِ الْحَالِ وَاعْذِرْنِي وَلَا تَلَمِ
 وَذَكَرَ جُودٍ وَمَحْضُولِي عَلَى الْكَلِمِ
 لَمْ يُثْرِ مِنْهُ كَمَا أَثْرَى مِنَ الْعَدَمِ
 وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنِ صِمَّةِ الصَّمَمِ
 فَالآنَ أَقْجِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ
 وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ
 حَتَّى كَانَ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّئَمِ
 كَأَنَّمَا الصَّابُ مَعْصُورٌ عَلَى اللَّجْمِ
 حَتَّى أَدَلَّتْ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَدَمِ
 وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ